مطَّرد ، إذ أنها تغفل - آنذاك - الفاصل الدقيق بين عالم الفضيلة وعالم الرذيلة ، ومما لا شك فيه أن هذا التساوي بين المتناقضات إنما يمثل قمة الغفلة من ناحية ، وقمة التسلط على حقائق الأشياء بلا وجه حق من ناحية أخري ، وهو الأمر الذى يعرضه أبو نواس - مثلا - حين ينطق بتساوى الأشياء ساخرا من واقعيتها إلا من خلاله فى مثل قوله لصاحبة الحانة :

فاحيَيْ بريحهمُ فى ظل مكرمـــــة حتي إذا ارتحلوا عن داركم مـــوتى

ومن هذا المنطق يسقط جانب من الفن النواسى وما يشبهه من عالم الترفع الأخلاقى فى ظلال الواقعية المهترئة التى لاتتجاوز حدود لا مبالاة الأنا ، وعندها أيضا تتأثر ثورته الفنية المزعومة حين تصطدم بصخرة التراث التى قصد إلى تحطيمها ، وإن كانت بقية انهيار ثورته الاجتماعية تتحطم أيضا على صخرة القيم التى ظلت متماسكة تنطق بالتحدى إلى الحد الذى دفع بالشاعر ونظرائه إلى منطق التحايل عليها ، ولعله قد تصور أن لهذا التحايل نتيجة إيجابية ، فما فتئ يحاول النفاذ من خلالها إلى مطلبه بحثا - أو إيهاما بالبحث - في الديانات أولاً ، كما وقع فى قوله جامعًا بين اليهودية والمسيحية أمام تبريراته الخمرية :

لا تسقني الدَّهْرَ إماً كُنتَ لى سكنا إلا التى نصَّ بالتحريم جبريـــل
إن كان حرَّمها الفُرقانُ بعدُ فقـــد أحلَّها قبلُ توراةٌ وإنجيـــــلُ

ثم قوله مُفردا ادعاءه على المسيحية :

خُذْها على دين المسيح إذا نهَـــى عن شربها دينُ النبيِ محمـــــدِ

ثم قوله وقد أسندها إلى سقاتها من اليهود خاصةً ، وهو كثير حول الساقى من الغلمان :

ولكن يهوديُ يحبُّكَ ظاهـــــرا ويضمر فى المكنون منه لك الغَـدْرا

أو صاحبة الحانة :

فقالت لنا : حنُّون اسمى وسعرهـــا ثلاثٌ بتسع هكذا غيرُكُم بِعْنَـــا

أو رصده لأماكنها فى الأديرة بالذات :

يادَيْر حنَّةَ من ذاتِ الأكَيْـــــراحِ من يصحُ عنك فإنى لست بالصاحى
رأيتُ فيك ظِباءً لا قرون لهـــــا يلعبْنَ منَّا بألبـــــابٍ وأرواح